



## بلاغة التهكم في سورة الكهف

د. فضيلة أحمد سعيد

قسم اللغة العربية/ كلية التربية الأساس/ جامعة صلاح الدين/ أربيل - إقليم كردستان العراق

[fazila.saeed@su.edu.krd](mailto:fazila.saeed@su.edu.krd)

## المستخلص:

تسعى هذه الدراسة إلى معاينة أسلوب التهكم في سورة الكهف، واقتضت طبيعة الدراسة توزيع المادة العلمية على محورين ونتائج، فأما المحور الأول فيوجز الكلام على مفهوم التهكم في فن البلاغة، وعقبه جاء المحور الثاني ليتحدث عن أبرز الأساليب البلاغية التي أفادت أسلوب التهكم ولوّنت النص القرآني بطابعه، وقد تمثّلت في التشبيه والاستعارة والكناية والتقديم والتأخير والاستفهام والخبر، والجناس والمقابلة، وفي هذا المحور ألقى البحث الضوء على منبع التهكم ومنشئه، واستنتق النص في تشكيله البلاغي وبنائه وصولاً إلى المعنى الناتج، وختمت الدراسة بتسجيل أهم النتائج التي تمخضت عنها في جهودها المتواضع.

الكلمات المفتاحية: التهكم، القرآن الكريم، سورة الكهف، التصوير، السخرية.

للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الأساسية



## The Rhetoric of irony in Surah Al-Kahf

Dr. Fazila Ahmed Saeed

Department of Arabic Language/College of Basic Education/University  
of Salahaddin

[fazila.saeed@su.edu.krd](mailto:fazila.saeed@su.edu.krd)

### Abstrac:

This study examines the use of irony in Surah Al-Kahf. The nature of the study led us to divide the material into two main sections and two main findings. The first section briefly discusses the concept of irony in rhetoric. The second section elaborates on the most prominent rhetorical devices that contribute to the irony and imbue the Quranic text with its character. These devices include simile, metaphor, declarative statements, imperative statements, emphasis, and contrast. The research also sheds light on the source and origin of irony, analyzing the text's rhetorical structure and composition to arrive at the resulting meaning. The study concludes by summarizing the most important findings of this modest effort.

Keywords: Irony, Holy Quran, Surah Al-Kahf, imagery, satire .

مجلة العلوم الأساسية  
المقدمة علوم التربية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الأساسية

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، أما بعد ...

فإنّ القرآن الكريم نزل بلغة العرب، وسار على وفق أساليبهم في التعبير عن المضامين التي يريد إبلاغها إلى المخاطبين، ولا يخفى أنّ الذين نزلّ عليهم القرآن في وقته كانوا يعمدون إلى الحطّ من شأن أعدائهم وخصومهم، حيث كانت الملاسنة حادة بين الأطراف المتنازعة، وكلّ يسعى إلى الغلبة على الآخر بلسانه قبل سيفه، ولا شكّ أنّ القرآن الكريم كان يراعي هذه البيئة الثقافية والاجتماعية والسياسية في أثناء التنزيل، وهذه الدراسة محاولة متواضعة لإبراز تهكم الله بالكافرين والسخرية منهم في القرآن الكريم، واقتضت طبيعة الموضوع معالجته في محورين أما الأول فيتناول



مفهوم التهكم في البلاغة العربية والمصطلحات المتداخلة معه والأثر البلاغي الذي يتركه على المتلقي، والمحور الثاني يتحدّث عن أبرز مواطن التهكم في سورة الكهف وكيفية تصويره وصياغته من الناحية الأدبية كي يتذوق المتلقي بناء الصورة المتهكمة ويتمتع بطرافتها، فالتنوع في عرض القرآن من استعمال أسلوب القصة أو المنطق العقلي أو الصراع أو الحوار وإلى جانبه أسلوب التهكم يسبغ روح الطرافة على ما يسرده القرآن، وتعقب المبحثن خاتمة تلخص أبرز النتائج التي توصل إليها البحث في مقارنته البلاغية.

### أهمية البحث

تكمن أهمية هذه الدراسة في الكشف عن الإعجاز القرآني من الجانب البلاغي، ومن توظيف الأدب والبعد الفني لأساليب التعبير في الخطاب القرآني، كما تأتي أهميتها من تناول ظاهرة حساسة، وهي التهكم في القرآن الكريم، لأنّ هناك من العلماء قديماً وحديثاً يتحاشون الحديث عن هذا الجانب، بحجة أنّ كلام الله منزّه عن مثل هذا الأسلوب الذي يميل في ظاهره إلى ضرب من النقص والاستخفاف، لكن غاب عن أذهان هؤلاء أنّ القرآن الكريم نزل بلغة العرب، وهذه الظاهرة كانت منتشرة في الشعر العربي القديم قبل الإسلام، فوق أنها كانت حاضرة بالقوة في الأمثال العربية والنثر العربي القديم، إضافةً إلى أنها أصبحت في العصر الحاضر جزءاً من استراتيجيات التخاطب الحضاري الذي يربط بين الثقافات وتُتخذ وسيلة فعّالة للردّ على الخصوم في قالب يحتفظ بقدر كبير من التهذيب والتأدب.

### أهداف البحث

للعولم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الأساسية

يسعى هذا البحث إلى لتحقيق أهداف أهمها:

- ١ . الكشف عن الوجوه البيانية للنص القرآني.
- ٢ . تدريب الأجيال الجديدة على التذوق الفني في النصوص القرآنية.
- ٣ . العمل على تنمية الذوق الجمالي عن طريق التعود على التحليل البلاغي.
- ٤ . الردّ على الذين يفتعلون فكرة الاصطدام بين الدين والفن.



٥ . محاولة دمج البعد الأدبي بالدراسات القرآنية من الوجهة البلاغية.

### الدراسات السابقة

من الضروري علمياً أن يشار في هذا المقام إلى أنّ دراستنا قد سبقتها دراساتٌ أخرى في الإطار العام غطّت القرآن الكريم كلّهُ، لكن لم نطلّع على دراسة محدودة الإطار بسورة الكهف على وجه التعيين، إذ أنّ هناك دراسات عن التهكم بشكل عام، ومن هذه الدراسات بحث بعنوان (أساليب التهكم في القرآن الكريم) للدكتور عباس علي الأوسي، ورسالة ماجستير بعنوان (أسلوب التهكم في القرآن الكريم . دراسة تحليلية بيانية) للباحث أحمد زياب أحمد عنانزة ، قدّمتها إلى الجامعة الأردنية كلية الدراسات العليا ٢٠٠٥، ولم نتناول أي من الدراسات ظاهرة التهكم في سورة الكهف إلا لمأماً، ومن تلك الدراسات التي أجريت على سورة الكهف أو أجريت على ظاهرة التهكم في القرآن الكريم، دراسة للباحث مروان محمد سعيد عبد الرحمن عنونها ( دراسة أسلوبية في سورة الكهف) سنة ٢٠٠٦، و دراسة أخرى عنونها ( ألوان البديع في سورة الكهف) للطالب سلمان سالم الحسوني، وكتاب (الأفق الجمالي في القرآن الكريم . سورة الكهف) للدكتور أسامة جاب الله، وكتاب (دراسة جمالية بيانية في أربع سور: الإسراء، والكهف، ومريم، وطه) لمحمد الحسناوي، وكتاب (التصوير الساخر في القرآن الكريم) للدكتور عبدالحليم حفني، وهذه الدراسات جميعاً لا تتناول إلاّ الإشارات العابرة لأسلوب التهكم في سورة الكهف، وهي إشارات تخلو غالباً من المقاربة الأدبية والوقفات الفنية، بيد أنّ دراستنا تستأثر بهذه الظاهرة البلاغية على وجه الخصوص وتحاول الوقوف على مواطنها وقفة بلاغية أدبية من أجل القبض على ملامح الإعجاز البياني والتعبير الفني فيها.

مجلة العلوم الأساسية  
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الأساسية

### \* بلاغة التهكم في سورة الكهف:

#### المحور الأول: مفهوم التهكم في البلاغة العربية:

التهكم فنٌّ طريف من فنون البلاغة، وهو في اللغة مشتقٌّ من الجذر الثلاثي(الهاء، والكاف، والميم)، والتهكم هو التّحميم والتّعرض للناس بالشر والافتحام فيه، والتهكمُ التّهزؤ، تهكّم فلانٌ بفلانٍ، أي تهزأ به، وتهكّمَتِ البئرُ: تَهَدَمَتْ، (ابن فارس، ١٩٨٧، ٦١٧/١٢)، والتهكّم: التّكبر، والتهكّمُ:



المتكبر، وهو أيضاً الذي يتهدم عليك من الغيظ، والتهكم: السيل الذي لا يُطاق، ( ابن منظور، د.ت، ٦، ٤٦٨١)، والتهكم: الاستهزاء والاستخفاف (الزبيدي، ٢٠٠١، ٣٤/١١١).

فمفهوم التهكم في اللغة إذن يتسع لأكثر من معنى، فهو يصدق على الجانب المادي كالتقويم والتهكم حيناً، وينصرف إلى الجانب النفسي كما في معنى السخرية والاستهزاء والتعرض للناس حيناً آخر، وهذا الجانب الثاني يقرنا من المفهوم الاصطلاحي، وإليه مال بعض الدارسين القدامى من أمثال ابن أبي الأصبع المصري (٦٥٤هـ)، وابن حجة الحموي (٨٣٧هـ)، وابن معصوم المدني (١١١٩هـ)، إذ يرون أنّ الاستهزاء أعمّ من التهكم، وأنّ التهكم أخصّ من الاستهزاء، وهو أي التهكم في الاستعمال عبارة عن الإتيان بلفظ البشارة في موضع الإنذار، والوعد في مكان الوعيد، والمدح في معرض الاستهزاء. (ينظر: ابن أبي الإصبع المصري، ١٩٩٥، ٥٦٨، والحموي، ٢٠٠٥، ٢/١٩١، والمدني، د.ت، ٢/١٨٥)، والتهكم تهاون من القائل بالمقول له، واستهزاء به، وهو أغيب للمستهزأ به، وأشدّ تأثيراً (ينظر: الحلبي، ١٤٠٦، ٩/٦٢٩).

فالتهكم فيه "قوة وشدة ومعان زائدة على مجرد السخرية والاستهزاء لأنّ فيه معنى التهدم والافتحام، وهو ناتج عن شدة الغضب" (الزمخشري، ١٩٩٨، ٢/٣٧٧)، والتهكم يكون "إما لشدة الغضب قد أوعد بلفظ البشارة أو لشدة الكبر وتهاونه بالمخاطب" (ابن أبي الإصبع المصري، ١٩٩٥، ٥٦٨).

إذن فالتهكم هو كل كلام خرج على خلاف مقتضى الحال استهزاءً بالمخاطب، ويُرد على أوجه

خمسة:  
مجلة العلوم الأساسية  
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الأساسية

الأول: أن يكون وارداً على جهة الوعيد بلفظ الوعد تهكماً، كقوله تعالى: { فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } سورة التوبة، الآية: ٣٤، وقوله تعالى: { بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا } سورة النساء، الآية: ١٣٨.

الثاني: أن تورد صفات المدح والمقصود بها الذم، ومثاله قوله تعالى: { نُقِ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } سورة الدخان، الآية: ٤٩.

الثالث: قوله تعالى: { قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ } سورة الأحزاب، الآية: ١٨، وقوله تعالى: { قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ } سورة النور، الآية: ٦٤، وقوله تعالى: { قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ }



سورة الأنعام، الآية: ٣٣، فالمضارع في الآيات الواردة دالٌّ على القلة والغرض هنا التكثر، وإنما أورده على جهة التهكم بهم والاستهانة بحالهم، وكأنه يحكي تصورهم ويستحضر تفكيرهم الخاطيء ليستهزأ به المتلقي.

الرابع: قوله تعالى: { رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ } سورة الحجر، الآية: ٢، فأورده على جهة التقليل، والغرض به التكثر وإنما أخرجه مخرج التهكم والاستهزاء.

الخامس: قوله تعالى حكاية عن قوم شعيب: { إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ } سورة هود، الآية: ٨٧، فلم يخرجوه على جهة استحقاقه للمدح بهاتين الصفتين مع كونه أهلاً لهما، وإنما أخرجه مخرج التهكم والاستهزاء بحاله تمرداً واستكباراً (العلوي، ١٤٢٣، ٢٩٦/٣).

ويُشار في هذا المقام إلى أن هناك بعض المصطلحات البلاغية المتداخلة مع التهكم مثل: (الدعابة، الهجاء، الهجاء في معرض المدح، الهزل الذي يراد به الجدّ، السخرية، الاستخفاف)، فلا بدّ من التمييز بينها، نظراً لاستخدام بعضها في مكان بعض، ولما يوحي به بعضها من دلالات لا نجدها في غيرها.

أما الفرق بين التهكم والهزل الذي يراد به الجد هو "أنّ التهكم ظاهره جدّ وباطنه هزلٌ، وهو ضدّ الأول، لأنّ الهزل الذي يراد به الجدّ يكون ظاهره هزلاً وباطنه جدّاً" (ابن أبي الإصبع المصري، ١٩٩٥، ٥٧٠).

والفرق بينها وبين السخرية والهزء هو أن التهكم سخريّة أو "ضربٌ من السخرية تختلف عن الهزء لأنّ الهزء لعب الفكر المازح الماكر لعباً مرّاً أو هجاءً، فالسخرية أكثر من مجرد نقد أو مراقبة لأنها نوعٌ من الشتيمة التي لا تغتفر، غير أن التهكم نوع خاص من هذا الانتقاد الساخر يتميز عن السخرية المباشرة بخصائص وصفات وبأساليب وسبل" (العوا، ١٩٨٩، ١٨).

ويجدر التنبيه هنا إلى أنّ البحث على الرغم من ملاحظة هذه الفروق الدلالية بين التهكم وهذه المصطلحات إلا أنه يستخدم تلك المصطلحات كذلك في التطبيق للدلالة على التهكم من باب التقارب الدلالي في اللغة، إذ أن كتب التفسير لا تفرق بينها من جهة، وهي منبع الدراسة في إبراز الطروحات، والاستخدام العام لا يلقي بالاً بتلك الفروق الطفيفة من جهة أخرى.



والأثر البلاغي الذي يتضمنه أسلوب التهكم في القرآن الكريم كما ذكره العلوي أنه "ذو موقع عظيم في إفادة البلاغة والفصاحة" (العلوي، ٢٠٠٨، ٩١/٣)، مما يجعل دراسة هذا الجانب في القرآن تحقق أهدافاً جلية على غاية من الأهمية، وعلى هذا يمكن إجمال وظائف التهكم في القرآن الكريم فيما يأتي: (حفني، ١٩٨٧، ٥١، ٧٧).

١. الهداية والدعوة إلى الدين الحنيف.

٢. تسلية النبي (صلى الله عليه وسلم) والتخفيف عن المسلمين.

٣. إبراز مدى عداوة الكفار والمنافقين للنبي (صلى الله عليه وسلم) وللمسلمين.

٤. يعد التهكم مصدراً للشعور بالعزة والنصرة لدى المؤمنين.

٥. تنقية المجتمع الإسلامي من الرذائل والمفاسد.

وأهميته تكمن أيضاً في "صورة المبالغة والمفارقة والجمع بين النقائض" لإبراز المعالم والصور البارزة (ناجي، ٢٠١٤، ٢١٦).

**المحور الثاني: مواطن التهكم في سورة الكهف:**

التهكم "من الأساليب الموجهة إلى النفس، فيحدث فيها ما لا يحدثه ضرب السيوف، إذ لا شيء يهزّ كيان الشخص، ويحطم من قوته المعنوية شعوره بأنه أصبح سخرياً لأحد" (حفني، ١٩٨٧، ٢٤).  
مجلة العلوم الأساسية  
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الأساسية

والقرآن الكريم يسجل هذا الأسلوب في أكثر من موضع في سورة الكهف، من ذلك قوله تعالى: { إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِينُوا يَعْثُبُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا } سورة الكهف، الآية: ٢٩.

حين نقرأ قوله تعالى: { إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا }، فإنّ هذا الاستخدام للفعل (أعدنا)، ونسبته إلى النار تفتح المجال واسعاً كي يتخيل الإنسان طبيعة هذا الإعداد وكيف يكون؟



فهذه صورة أخروية ومشهد من مشاهد يوم القيامة يصورها القرآن الكريم تصويراً يروع السمع ويملأ النفس رهبة وهي صورة الظالم، الظالم المغرور في الدنيا بقوته وسطوته، والظالم أحد المهازل التي وجدت للتهكم والسخرية منها وهو داخل جهنم وقد أحاط بها السرداق، وهو "الحاجز الذي يكون محيطاً بالخيمة يمنع الوصول إليها، فقد يكون من جنس الفسطاط أديماً أو ثوباً، وقد يكون غير ذلك كالخندق... والسرداق: هنا تخييل لاستعارة مكنية بتشبيه النار بالدار، وأثبت لها سرداق مبالغة في إحاطة دار العذاب بهم، وشأن السرداق يكون في بيوت أهل الترف، فإثباته لدار العذاب استعارة تهكمية " (ابن عاشور، د.ت، ١٥ / ٥٧).

ولعل في التعبير بـ (أعتدنا) دون غيره من مرادفاته تهكماً صريحاً، في أنّ الإعداد عادةً يكون للضيوف ويستخدم في مقام الترحاب والاستقبال، وهذا ما نتوقعه ولكن ما تلبث الحقيقة التي نتوقعها أن تهوى إلى الأسفل فتضطرب معها أمور المنطق والوعي لتتحول إلى تهكم وسخرية لهذه المفارقة، وإضافةً إلى هذه المفارقة نجد القرآن الكريم يلجأ إلى استخدام عناصر كثيرة إضافة إلى عنصر المفارقة كالتشبيه وتوليد المعاني وبراعة الخيال فلا نملك إلا التهكم من هذا التشبيه الغريب للنار بالخيمة الذي هو للاستغلال عادة وهنا السخرية الكبرى.

إنّ المفارقة الموجودة في ثنايا الآيات الواردة عماد أكثر ألوان التهكم والسخرية، والحقيقة أنّ "المفارقة وظيفة إصلاحية في الأساس فهي تشبه أداة التوازن التي تبقى الحياة متوازنة أو سائرة بخط مستقيم وتعيد إلى الحياة توازنها عندما تحمل حمل الجد" (ميويك ، د.ت، ١٦).

وتتكير (ناراً) يرشد إلى عدم التحديد، وتوحي كذلك بهول النار وإهمال الظالمين الذين لا يراعون الحرمات وينتهكون الفضيلة في ظلمة الليل ولا يؤدون حقوق الناس.

يقول سيّد قطب في وقفته على الآية مستنبطاً ملمح التهكم من دلالة الارتفاق: "بئس الشراب الذي يغاث به الملهفون من الحريق، ويا لسوء النار وسرداقها مكاناً للارتفاق والاتكاء! وفي ذكر الارتفاق في سرداق النار تهكم مريب، فما هم هنالك للارتفاق، إنّما هم للاشتواء، ولكنها مقابلة مع ارتفاق الذين آمنوا وعملوا الصالحات هنالك في الجنان" (قطب، ٢٠١٩، ٤ / ٦٠١)، ويبدو أن قطباً استخرج هذه الدلالة من أمور، منها ذكر كلمة النار في السياق، لأنّ الارتفاق يتخالف معها دلاليّاً، ومنها ما يحصل بدلالة المقابلة مع المؤمنين، ومنها أصحاب هذا الارتفاق، فكل هذه الإشارات كانت وسائل لغوية في السياق أعانت قطباً على استنباط دلالة التهكم في الآية، ولا يخفى أنّ سيّد قطب



استنتب من ذكر لفظة الارتفاق في هذا السياق وظيفتين: إحداهما وظيفة نفسية وجدانية تهدف إلى تحطيم الموصوفين ومصادرهم، والأخرى وظيفة فنية جمالية تُحدث تقابلاً بين الفريقين من أجل إبراز المفارقة الصارخة لكي يتذكر المتلقي قبل فوات الأوان.

ويحلل هذا الملمح للتهكم ابن عاشور على أساس الدلالة المعجمية مرة، وعلى أساس اختصاص اللفظ بأعضاء الانسان مرة أخرى، فيقول: "والمرتفق محل الارتفاق، وهو اسم مكان مشتق من اسم جامد، إذ اشتق من المرفق، وهو مجمع العضد والذراع، سمي مرفقاً لأن الانسان يحصل به الرفق إذا أصابه إعياء فيتكئ عليه... فالمرفق هو المتكأ، وشأن المرتفق أن يكون مكان استراحة، فاطلاق ذلك على النار تهكم، كما أطلق على ما يزداد به عذابهم لفظ الإغاثة، وكما اطلق على مكانهم السرادق". (ابن عاشور، دت، ١٥ / ٥٨)

ثم يعقب هذا الاستهزاء والتهكم تهكم آخر، قال تعالى: { وَإِنْ يَسْتَعِثُّوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهُ } سورة الكهف، الآية: ٢٩.

حيث سمي أعلى أنواع العذاب إغاثة، والإغاثة في أصل مدلولها عبارة عن انقاذ الملهوف من بلاء أو شدة أو كرب، وعليه فإذا كانت الإغاثة هي صبّ مزيد من العذاب فيصرف الى معنى التهكم بهم والتشفي منهم. يقول ابن عاشور: "وَالْإِغَاثَةُ: مُسْتَعَارَةٌ لِلرِّيَادَةِ مِمَّا اسْتُعِثَّ مِنْ أَجْلِهِ عَلَى سَبِيلِ التَّهْكُمِ، وَهُوَ مِنْ تَأْكِيدِ الشَّيْءِ بِمَا يُشْبِهُ صِدَّةً" (ابن عاشور، دت، ١٥ / ٥٧)، إن العذاب الحسي للظالمين من شرب الحميم وكئي الوجوه بالنار مشهد حقق إقراراً في العقول وتأثيراً في النفوس، فالظالم في ألوان من العذاب النفسي والجسدي، "إننا ساعة أن نسمع (يعاثوا) قد نظن أن هناك فرجاً قادمًا ولكن الذي يأتي هو ماء كالمهل" (الشعرأوي، ١٩٩٧: ١٣٧٨)، وفي هذا تناول تهكم قارص حيث أشارت إلى تسمية العذاب بالإغاثة، والظالم يحيطه أسوار النيران وهذا على خلاف المعهود، إذ إن الإغاثة تعني: النصر، قال ابن فارس: "الإغاثة من الغوث، وهي النصر عند الشدة" (ابن فارس، ١٤٢٠هـ، ٤ / ٤٠٠)، وهذا اللفظ إذا أطلق ينصرف الذهن معه إلى معنى الخير والنصر لا إلى الشر والأذى.

فأي مساعدة وأي مساندة تدخله هذه الإغاثة على الكفار وهي لا تتضمن غير العذاب، فهذه اللفظة استخدمت في غير موضعها، لأن المتعارف عليه هو حمل اللفظ في الاستخدام على الخير والعون والمساندة، كما قال تعالى: { إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُبْدِكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ }



مُرْدِفِينَ { سورة الأنفال، الآية: ٩، وقد قدّم القرآن لوحات السخرية هذه في قوالب غير مألوفة إذ جاء بتعبير يوحى ظاهره خلاف باطنه، فاستعار الإغاثة وهي النصر والعون في مكان العذاب، وفي هذا تهكم واستخفاف بهم، لأنه لما قال (يغاثوا) امتلأت نفوسهم مسرة بأن الله يخرجهم من محنتهم ويغيثهم من عذابهم حتى توهموا الخير، لكن سرعان ما يتلاشى هذا الوهم، فإذا الإغاثة تأتي لهم بماء كالمهل يشوي الوجوه، وهنا تضع التهكم أصحاب هذه الصفات في موضع هزء وسخرية إذلالاً لهم وتحقيراً لشأنهم.

وقد أثبت التمثيل في النفس خيالاً قبيحاً موجعا في قوله (ماء كالمهل) يدعو الى التنفير عنها والتهكم من حال أصحابها و"التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صباية وكلفاً، وقسر الطباع على أن تعطيتها محبة وشغفاً، فإن كان مدحاً كان أبهى وأفخم وأنبل في النفوس وأعظم... وإن كان نمأً كان مسه أوجع، وميسمه أذع ووقعه أشد وحده أحد، وإن كان حجاجاً كان برهانه أنور وسلطانه أقره وبيانه أبهر" (الجرجاني، ١٩٩١، ١١٥).

وقبل أن ينتهي هذا المشهد الساخر الأليم وتسفيهاً لدارهم الذي لا دار لهم غيرها والماء الآسن الذي يسقون منه فيشوي وجوههم، يعقبه القرآن بقوله: { بئس الشربُ وساعتُ مُرتَفَقًا } سورة الكهف، الآية: ٢٩، ولو اكتفى النص بتقبيح واحد لكان الموقف هيناً، لكنه قال "بئس الشرب شربهم فما أقبحه فهو لا يزيل عطشاً ولا يسكن حرارة، بل يزيد فيها وساعت جهنم مرتفقا، أي ساءت النار منزلاً ومجتمعاً وموضعاً للارتفاق والانتفاع" (الزحيلي، ١٤١٨: ١٥/٢٤٣)، وأي تهكم تبوح به هذه الكلمات (ساعت مرتفقا)، وفيه ضرب من التناغم الموسيقي بين (بئس) و(ساعت) وانتصب المرتفق على التمييز ليمنحه وضوحاً وتحديداً لا يخفى على المتلقي ولا على أصحابها الداخليين فيها.

يقول الأديب الحصيف سيد قطب " { إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا } أعددناها وأحضرناها، فهي لا تحتاج إلى جهد لإيقادها، ولا تستغرق زمناً لإعدادها! ومع أن خلق أي شيء لا يقتضي إلا كلمة الإرادة. كن فيكون. إلا أن التعبير هنا بلفظ (أعدتُنا) يلقي ظل السرعة والتهيؤ والاستعداد، والأخذ المباشر إلى النار المعدة المهيأة للاستقبال! وهي نار ذات سرداق يحيط بالظالمين، فلا سبيل إلى



الهرب، ولا أمل في النجاة، فإن استغاثوا أغِيثُوا بماء كدردي الزيت المغلي أو كالحديد الساخن يشوي الوجوه" (قطب، ٢٠١٩: ٤/٦٠٠٠ . ٦٠٠١).

والتهكم الوارد في القرآن الكريم تهكم يهدف إلى الإصلاح وتوجيه الخلق نحو طريق الحق، فالقرآن يهتم بعلاج النفوس عن طريق التهكم، والأنموذج الذي يصبح موضع التهكم يشعر بتشتت قوته وزحزحة مكانته فيتذلل ويحاول أن يغير شيئاً مما هو عليه، وهنا يحقق التهكم الهدف الذي وجد من أجله، فغاية القرآن هي إثارة الخوف في نفس العاصي عسى أن يرتدع ويكف عن عصيانه وظلمه.

ويتخذ القرآن من ضالّه عقيدة صاحب الجنّين مادة طريفة لتهكمه، كما في قوله تعالى: { وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا } سورة الكهف، الآية: ٣٦.

إذ ما ورد في الآية الكريمة نموذج آخر من تهكم صاحب الجنّين بصاحبه المؤمن والاستخفاف به، يقول ابن عاشور: "وانتقل من الإخبار عن اعتقاده دوام تلك الجنة إلى الإخبار عن اعتقاده بنفي قيام الساعة ولا تلازم بين المعتقدين، ولكنه أراد التورك على صاحبه المؤمن تخطئة إياه، ولذلك عقب ذلك بقوله: (ولئن رُدِدْتُ إلى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا) تهكماً بصاحبه، وقرينة التهكم قوله: (وما أظنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً)" (ابن عاشور، د.ت، ١٥ / ٦٧)، ولعل استنباط التهكم من الآية عند ابن عاشور آتٍ ممّا لا حظه من التناقض الصارخ بين صدر الكلام ونهايته، ومن التباين بين مدلول الفعل (ظنّ)، ومدلول الفعل (لأجدنّ) وما عليه من أدوات التوكيد.

ولعلّ كلام هذا الرجل الكافر يكشف عن حقيقة نفسية مزدوجة، إذ أن قوله: "وما أظنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَى رَبِّي)"، على ضرب المثل، (لأجدنّ خيراً منها منقلباً) أي ليعطيني خيراً من هاتين الجنّتين، وهذا لا يخلو من أمرين، إما أن يكون عالماً بحقيقة الحال فيكون كلامه على وجه التهكم والاستهزاء فيكون زيادة كفرٍ إلى كفره، وإمّا أن يكون هذا ظنه في الحقيقة فيكون أجهل الناس وأبخسهم حظاً من العقل... والظاهر إنّه يعلم حقيقة الحال ولكنه قال هذا الكلام على وجه التهكم والاستهزاء" (السعدي، ٢٠٠٢، ٥٥٤).



وفي مشهد قريب من المشهد السابق قوله تعالى: { وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ، وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا } سورة الكهف، الآية: ٥٢ . ٥٣ .

ففي مثل هذا المشهد لا يجدر بالظالم إلا التهكم به، ولا يستحق إلا السخرية بعقله والاستهزاء بتفكيره، إذ لا يخفى على عاقل أن استجابة الآلهة المعبودة للمشركين وردهم عليهم أمر مستحيل، ولكن الله جعلها في محل من ينتظر منه الاستجابة والقبول، إنه تهكم وهُزء بالنفس فلا إمكان لاستجابة الآلهة، فهذا مُحال، وإنما أورده إشارة إلى حمقهم وخفة عقولهم، حيث إنهم لا يدركون إلا بالتصريح، لقد أعطى القرآن للمجرم من التهكم قسطاً وافراً، وتناول نفسيته بتحليل ساخر لاذع وقد جمع صفات الحمق والجهل في شخصيته التي أشبعها تهكماً، ولا نستطيع إدراك عمق الطعن في عقول الكافرين إلا بقراءتنا لهذا النوع من التهكم.

لقد هبط بالكافر إلى درجة الحمق الذي لا يعي ولا يفهم استخفافاً وإيلاماً لعزة نفسه وكرامته وخطأً من قدره، ويمكن أن نتصور وجوه الكفرة وهم ينادون بالتهكم الذين زعموا أنهم آلهة ومظهرهم المثار للاستخفاف والتهكم، وخيبة الأمل التي سترتسم على وجوههم والفرع الذي يحاط بهم وهم لا يتلقون حين ينادون إلا الصمت الذي يوحي بتفاهة عقولهم وشناعة أعمالهم، وكأنهم ألغوا عقولهم فلم يتفكروا في الإله الواحد وفي طبيعة الصلة التي يجب أن تكون بينهم وبين الخالق جل جلاله.

ودلالة قوله تعالى: { الَّذِينَ زَعَمْتُمْ } أي زعمتموهم شركائي فقد قدم وصفهم بوصف الشركاء قبل فعل الزعم تهكماً بالمخاطبين وتوبيخاً لهم (ابن عاشور، د.ت : ٨٧/١٥).

وفي اختيار فعل (الظن) المستعمل هنا بمعنى التحقق في قوله: { وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا } ضرب من التهكم أيضاً لأنهم رجحوا أن تلك النار أعدت لأجلهم في حين أنهم موقنون بذلك (ابن عاشور، د.ت ، ٨٧/١٥)، والظن في اللغة معناه اعتقد، وقد تأتي بمعنى اليقين، أي أن دلالة الفعل على عكس معناه توحى بهذه الإشارة التهكمية مع أخذ سياق الأحداث بنظر الاعتبار في تأويل الكلام الموجه للكفرة.



وينكرر اثبات تهكم الله بالكافرين ضد عقائدهم الباطلة في أكثر من موضع من القرآن الكريم، ومنه قوله عزوجل: { وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأُولِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا } سورة الكهف، الآية: 55.

وأوضح ما يكون التهكم في الآية من تعبير قوله سبحانه: { إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأُولِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا } أي "انتظار أن تأتيهم سنة الله في الأولين، ويكون الكلام تهكماً وتعريضاً بالتهديد بحلول العذاب بالمشركين، أي لا يؤمنون إلا عند نزول عذاب الاستيصال" (ابن عاشور، دت: ٩٢/١٥)، لأن سنة الأولين كناية عن العذاب الذي أنزله الله على الأمم الماضية باهلاك المكذبين، وفيها التهديد الخفي والاستهزاء الملفوف، وهذا التهكم كثيراً ما يتفجر من الآيات الكريمة انتقاماً للحد من جحود الكافر والتمرد على خالق الكون.

وفي ابتعاد الفاعل (أن تأتيهم سنة الأولين) عن الفعل والمفعول مسافة وإطالة الجملة الفعلية حتى يتبين المانع من الإيمان لدى المتلقي، لوّن من ألوان التشويق الباعث على السخرية، لأن التشويق لا يكون إلا لأمر مرغوب فيه أو لخبر سار. (ينظر: عزيز، ٢٠٢١، ١٦).

ومن التهكم الوارد في السورة قوله تعالى: { وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا } الكهف [١٠٠]، ومن هنا يكون التهكم اللاذع، أن نرى جمعاً غفيراً من الناس وقد عرض عليهم جهنم عرضاً، فلفظ العرض في أصل استعماله لا يصدق على جهنم، فالكلام على خلاف مقتضى الحال، بل يتصور في اللفظ العكس، أي على خلاف المعهود إذ يتصور فيه الراحة والرغبة والطمأنينة، يقول الجوهري: "وعرضتُ الشيء فأعرض، أي أظهرته فظهر" (الجوهري، ١٩٨٧، ٣/١٠٨٤).

للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الأساسية

وأما صورة التهكم، فيحدثنا عنها ابن عاشور رحمه الله، فيقول: "وعرض جهنم مستعمل في إبرازها حيث يشرفون عليها وقد سيقوا إليها فيعلمون أنها المهية لهم، فشبّه ذلك بالعرض تهكماً بهم، لأن العرض هو إظهار ما فيه رغبة وشهوة" (ابن عاشور، دت، ١٥ / ١٣٩).

وتأكيد الفعل بالمفعول المطلق (عرضاً) يُخْرِجُ الكلام عن صورته المجازية، ويُقوي عملية المشاهدة ودلالة العرض، وفي تقديم الظرف والجار والمجرور (يومئذٍ للكافرين) على المفعول المطلق تهويلٌ وتخويفٌ أُشرب فيه إحياء الاستخفاف.



والقرآن يسלט سوطه الساخر عن طريق أسلوب التهكم، إذ يرسم صورة هؤلاء في المستوى الأدنى والأضعف، وهي مرتبة الهزيمة الروحية وهو الهدف الذي يريده القرآن الكريم، يقول سيد قطب: "وإذا بهؤلاء تعرض عليهم جهنم فلا يعرضون عنها كما كانوا يعرضون عن ذكر الله، فما يستطيعون اليوم إعراضاً، لقد نزع الغطاء عن عيونهم نزعا فرأوا عاقبة الإعراض والعمى جزاء وفاقا، والتعبير ينسق بين الإعراض والعرض متقابلين في المشهد، متقابلين في الحركة على طريقة التناسق الفني في القرآن" (قطب، ٢٠١٩ : ٤ / ٦٣١).

وبهذه النظرة إلى الكافر ومجاوبته بعكس ما يتوقع يواصل القرآن تهكمه في قوله تعالى: { **أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ** } سورة الكهف، الآية: ١٠٢، "إِنَّ فِي هَذَا الاستفهام والتساؤل من مرارة التهكم والانكار لينسجم كل الانسجام مع ما مرّ معنا في قوله سبحانه وهو يستنكر اتخاذ بعض الناس الشيطان ولياً لهم من دون الله تعالى (أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ) " ( طهماز، ١٩٨٧، ١٤٢ )، وترتفع نبرة التهكم عقب ذلك في قوله تعالى: { **إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا** } سورة الكهف، الآية: ١٠٢، إذ يتجلى العذاب الأخروي بقدر ما يتجلى فيه ملامح التهكم والسخرية، وترتسم صورة الكافر في أذهاننا وهو يحاول أن ينجو بنفسه من النار ويرفع صوته بالصراخ فلا يستغيثه أحد، تلك الصورة الساخرة المتهكمة بالكفار صورة جهنم وقد هياً لهم كالنزل، والنزّل في أصله اللغوي عبارة عما يقدمه المرء للضيف النازل به من زاد وشراب وفرش إكراماً له وتطيباً لخطره، ويقال إن فلاناً لحسنُ النَّزْلِ والنُّزْلِ، أي الضيافة (ابن منظور، د.ت، ٦ / ٤٤٠٠) ويقول أبو السعود في معنى (نزلاً): "أي شيئاً يتمتعون به عند ورودهم وهو ما يقام للنزّل أي الضيف مما حضر من الطعام والقرى" (أبو السعود، د.ت، ٥ / ٢٤٨)، وفيه تخطئة لهم في حسابهم وتهكم بهم حيث كان اتخاذهم إياهم أولياء من قبيل اعتاد العتاد واعداد الزاد ليوم المعاد، فكأنه قيل إنا اعتدنا لهم مكان ما أعدوا لأنفسهم من العدة والذخر جهنمَ عُدَّةً (أبو السعود، د.ت، ٣ / ٥٥٩) فالقرآن يلجم أعدائه بالتهكم عليهم والسخرية منهم.

والقرآن لم يعتمد في الآيات التي تحمل طابع التهكم على أسلوب واحد، بل تجاوزه إلى أساليب فنية أخرى منها الاستعارة، والاستعارة تحمل في ذاتها قسطاً كبيراً من الطاقة الإيحائية والظلال النفسية التي تحمل المتلقي على "تخيل صورة جديدة رائعة تنسيه روعتها - ما تضمنه الكلام من تشبيه خفي مستور" ( الجارم وأمين، ٢٠٢٢، ٢٠٥)، وقد أراد الله اهانتهم وتحقيرهم فجاء لهم بلفظ



يحمل في طياته الراحة ولكن سرعان ما تتلاشى هذه الراحة، فإذا بها تأتي على غير المعهود جهنم وبئس النزل.

ومركز التهكم هو تعبير (نزلاً) فإن مقتضى هذا التعبير أن يكون هناك راحة وتكريم في مكان الإقامة، غير إن جوهره هو العذاب المبين وهي صورة مزرية متنوعة التحقير للكافرين، يقول أبو السعود: "وفيه تخطئة لهم في حسابهم وتهكم بهم، حيث كان اتخاذهم إياهم أولياء، من قبيل إعتاد العتاد، واعداد الزاد ليوم المعاد، فكأنه قيل: إنا اعتدنا لهم، مكان ما أعدوا لأنفسهم من العدة والذخر جهنم عدة، وفي إيراد النزل إيماء إلى أن لهم وراء جهنم من العذاب ما هو أنموذج له، لأن الضيف لا يستقر في منزل الضيافة، وينتقل إلى ما هو إهناء له في دار إقامته، فكان تنبيهاً على أنهم سيذوقون ما هو أشد" (القاسمي، ١٤١٨هـ، ٧/٧٩).

ولعل من أبرز جماليات هذا النص هو توسط جهنم بين ملمحين دالين على التهكم أحدهما (اعتدنا) والآخر (نزلاً) في إشارة إلى الإسراع في التخويف وإلى التشويق إلى تأخير (نزلاً) لتتطلع النفس إلى نوع آخر من العذاب النفسي فوق العذاب الجسدي، و"القرآن حين يعرض مشاهد العقاب الذي يصطلبه أعداء الله لا يكتفي بعرض العقاب الحسي، وإنما يبرز أيضاً جانب العقاب النفسي، ليكون العقاب كاملاً جسدياً ونفسياً، وليكون الزجر به والتخويف منه أبلغ في النفوس" (حفني، ١٩٩٢، ٢١٣).

وإمعاناً في التهكم اللاذع بالكفار يقول تعالى: { قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا } سورة الكهف، الآية: ١٠٣، هل ننبئكم من هم هؤلاء؟ الأشد خسراً وضللاً، هكذا على صيغة الاستفهام المثير للتطلع والانتظار، والحقيقة أن طبيعة الاستفهام ونزوعها إلى السخرية بما فيه من قوة وانفعال جعلها تصل إلى هدفها، فهو إما إهانة أو تفرغ أو تحقير أو تهكم، وبذلك يتفوق القرآن في تصويب السهام الساخرة إلى أعدائه عن طريق التهكم إذ يجعل من سخريته سلاحاً في وجوه أعدائه معتمداً على صيغة الاستفهام المعبرة القائمة على الاختصار والتأثير النفسي، بل وقد "جاء هذا الإخبار في صورة الاستفهام لزيادة التهكم بهم، وللفت انظارهم إلى ما سيلقى عليهم... لخسران أعمالهم وضياعها بسبب إصرارهم على كفرهم" (الطنطاوي، ١٩٨٨: ٥٨٣/٨)، وإنه لتهكم وهزء بالنفس وضرب من اللجام على النفوس المتمردة على خالقها.



فما عاد هنالك مجال لسؤال وجواب إنما هو "عرض تهكم لأنه منبئهم بذلك دون توقف على رضاهم" (ابن عاشور، د.ت، ١٤١/١٥)، وهذا التهكم يناسب استهزاءهم بالوعيد والتهديد في الدنيا، والاستفهام عند الألوسي يدل أيضاً على الاستئذان المقصود منه السخرية والاستهزاء، عندما يقول: "وإذا حُمِلَ الاستفهامُ على الاستئذان كان فيه من التهكم ما فيه" (الألوسي، ٢٠١٠، ١٥ / ٥٨٨).

ونصوص التهكم تتميز بكثافة معانيها إلى جانب ايجازها، فهو أسلوب من أساليب الحرب النفسية، والحرب المعنوية، أو حرب الكلمة، وقد أدرك الرسول ﷺ شدة وقع الكلمة على النفوس حين أطرى شعر حسان بن ثابت الساخر من المشركين بقوله: "والذي نفسي بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل" (النسائي، ١٩٨٦، رقم الحديث ٢٨٩٣: ٢١١/٥)، ولا يمكن اخفاء حدة التهكم وسطوته على نفوس المناوئين والخصوم من أعداء الدعوة وأعداء الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم في سجال من الحرب دامت ردياً من الزمن.

ومن الشواهد الأخرى الدالة على التهكم قوله تعالى: { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا }، سورة الكهف، الآية: ٥٧.

الذكر والاعراض صفتان متقابلتان تقفان على طرفي نقيض، فحين يُدعى الإنسان الى الله لكي ينجو من شقاء الدنيا وخسران الآخرة، فيعرض بوجهه استكباراً واستكباراً، فإن هذه الحركة يجسد لونها من الاستخفاف بالهداية وليس مجرد اعراض عابر، ويردُّ عليهم القرآن بسخرية أعمق واشدَّ إيلاماً بقوله: (إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا) استهزاءً بمصيرهم وقراراً بحالهم، والاستفهام الانكاري في قوله: (وَمَنْ أَظْلَمُ) يحمل في طياته تهكماً بهذا الإنسان الضعيف وهو يعرض عن اوامر الخالق العظيم.

قال سيّد قطب: "فهؤلاء الذين يستهزئون بآيات الله ونذره لا يرجى منهم أن يفقهوا هذا القرآن، ولا أن ينتفعوا به، لذلك جعل الله على قلوبهم أغطية تحول دون فقهه، وجعل في آذانهم كالصمم فلا يستمعون إليه وقد ر عليهم الضلال - بسبب استهزائهم وإعراضهم - فلن يهتدوا إذن أبداً، فللهدى قلوب متفتحة مستعدة للتلقي" (قطب، ٢٠١٩، ٤ / ٦٠٩ - ٦١٠).



فالجناس بين (مَنْ) الإستفهامية ومن الموصولة (مَنْ) التي أدغمت في (مِنْ) فصارتا كلمة واحدة، والسؤال هنا جاء للتهكم والاستهزاء بأولئك الذين جاءتهم آيات الله، لكنهم أعرضوا عنها ( الحسوني، ٢٠١٦، ٦٨).

فأي ظلم أعظم من أن يظلم الانسان نفسه، ويعرضها لسخط الله وعقابه برغم ما جاءه من الآيات والنذر؟ آيات متلوة مسطورة، وآيات كونية شاهدة على وجوده وعقابه، وسرعة غضبه على من عصاه، فالسؤال هنا لا ينتظر منه جواب، فالجواب واضح لكنه تهكم، وتحذير لأولئك الذين ظلموا أنفسهم، أن يتداركوها قبل أن يحل بهم العذاب، وفي تخصيص العذاب لأولئك الذين ظلموا أنفسهم، أن يتداركوها قبل فوات الأوان. (ينظر: الحسوني، ٢٠١٦، ٦٩، ٦٨).

ومن الجدير بالذكر في الآية الواردة أن الخطاب الموجه الى الكفار جاء بأسلوب الغيبة (ذُكِّرَ) و (أَعْرَضَ) و (نَسِيَ) و (قَدَّمَتْ) ليثني ذلك بغياهم عن المشهد واهمالهم، كما دلّ الفعل الماضي على الوقوع المحقق والانقضاء، ولما توجه الخطاب الى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم خاطبه بالفعل المضارع (وإن تدعوهم) وبتاء الخطاب تكريماً واحتقاً. (ينظر: العمر، ١٤٣٥ هـ، ١٠٢).

كما ورد التهكم في قوله تعالى: { مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ تُتَّخَذُ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا }، سورة الكهف، الآية: ٥١ .

يلق ابن منظور على كلمة (عضدا) في الآية الكريمة قائلاً: "وما كنت مُتَّخَذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا، أي أعضاء، وإنما أفرَدَ لتعتدل رؤوس الآي بالافراد، (وما كنت متخذ المضلين عضداً)، أي ما كنت يا محمد لتتخذ المضلين أنصاراً، وَعَضُدُ الرَّجُلِ: أَنْصَارُهُ وَأَعْوَانُهُ" (ابن منظور، د.ت، ٢٩٨٣/٤)، وذلك في قراءة من قرأ بفتح التاء في (كنت)، يقول ابن عاشور: " (وما كنت) بفتح التاء على الخطاب، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو خبرٌ مستعملٌ في النهي" (ابن عاشور، د.ت، ٨٥/١٥).

وفي افراد (عضدا) دون جمعه على (أعضاد) تهكم واستهزاء بقوة هؤلاء المضلين الذين مهما كثروا فهم كالفرد الواحد، لا يساوون شيئاً، مع أن الكلمة تدل على اسم جنس، فهي كل عضد مهما تعدد. (ينظر: ياسوف، ٢٠٠٦، ٤٦٩).

نتائج البحث:



عقب قراءة سورة الكهف قراءة فاحصة من الوجهة البلاغية بحثاً عن التهكم انتهت الدراسة إلى جملة نتائج لعلّ من أهمها:

. إنّ التهكم في سورة الكهف مسجّلٌ عبر حشدٍ من الآيات سنّهُ الله حرباً نفسياً على الكافرين وكل هذه الألوان من التهكم موجهةٌ إلى عقائدهم الضالة مباشرة وإلى طرف من آرائهم تجاه الدعوة وصاحبها.

. القرآن الكريم عن طريق التهكم يكشف عمّا يجول في نفوس الكافرين من جهة ويهوّن من شأنهم ويردعهم من جهة أخرى.

. إنّ تهكم القرآن في سورة الكهف ليس إلا دفاعاً عن الرسول وأصحابه وعن المؤمنين في جميع الأزمان وتقويتهم لملاقاة الأذى وكيد الكافرين في تركيز شديد وإيجاز بديع، وتبعث في نفوسهم الجرأة والشجاعة في دينهم.

. إنّ التهكم أعمق أثراً على نفوس الكافرين من أي أسلوب آخر، إذ تهتم سورة الكهف بعلاج النفوس عن طريق التهكم، فهو أسلوب من أساليب الحرب النفسية التي لا يمكن إخفاء حدثها وسطوتها على نفوس الكافرين.

. ليس التهكم في سورة الكهف إلا وسيلة تهدف إلى الطعن في عقول الكافرين وذنبية قوتهم وزحزحة مكانتهم الاجتماعية وضرب معنوياتهم من الأعماق.

. للتهكم في سورة الكهف أثرٌ بالغٌ على النفس، إذ يمس كرامة الإنسان الكافر، ويحط من قيمته، حيث يهزّ كيانه للحدّ من الجحود والتمرد على خالق الكون.

. تعاضد التهكم الوارد في السورة مع كثير من الفنون البلاغية الأخرى لتقوية الأداء الجمالي حتى يكون الأثر النفسي أعمق غوراً وأشدّ إيلاماً.

. لوحظ أنّ كثيراً من أساليب التهكم في تلك السورة تشكلت على أساس الاستعارة التهكمية، في سياق الحديث عن أحوال الكافرين في يوم القيامة، وفي الاستعارة التهكمية يحظى ضد المعنى بنصيب وافر في تشكيل التهكم في سورة الكهف.



. قد يدخل التهكم في أسلوب المحاوره، سواء كانت المحاوره بين شخصيات السورة أم كانت موجهة الى الكافرين يوم القيامة ام يخاطبهم في الدنيا من أجل تصحيح مسارهم.

. تنوعت السياقات التي تم فيها توظيف التهكم بين بيئة الدنيا وبيئة الآخرة، ففي الأول اريد التصدي لحملات الكافرين ورد كيدهم الى نحورهم، وفي الثاني أريد التذكير بما يكون في المستقبل لعلمهم يستدركون الموقف قبل فوات الأوان.

. أكدت السورة من خلال أسلوب التهكم أن الجزء من جنس العمل، إذ قابلت بين مشاهد النعيم ومشاهد العذاب، مستخدمةً عبارات التكريم في موضع الإهانة.

. التهكم في سورة الكهف ليس استهزاء بالنفوس الجاحدة فحسب، بل وسيلة لإبراز أن الدنيا التي يتمسك بها الكافر ستقلب عليه عذاباً في الآخرة.

#### المصادر والمراجع:

- ١ . الألويسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله (٢٠١٠)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: رضوان مامو، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١.
- ٢ . ابن أبي الأصبع المصري (١٩٩٥)، تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: د.حفني محمد شرف، القاهرة، د.ط.
- ٣ . ابن حجة الحموي، أبو بكر بن علي بن عبدالله (٢٠٠٥)، خزنة الأدب وغاية الإرب، تحقيق: د.كوكب دياب، دار صادر. بيروت، ط٢.
- ٤ . ابن عاشور، محمد الطاهر (د.ت)، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت. لبنان، ط١.
- ٥ . ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (١٩٨٧)، مجمل اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢.
- ٦ . ابن منظور، محمد بن مكرم (د.ت)، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، مصر، بيروت، ط٣ .
- ٧ . أبو السعود، محمد بن محمد لالعمادي (د.ت)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، مطبعة السعادة، الرياض، د.ط.
- ٨ . الجارم وأمين، علي الجارم ومصطفى أمين (٢٠٢٢)، البلاغة الواضحة في البيان والمعاني والبديع، تحقيق: قاسم محمد النوري، مكتبة دار الفجر، بيروت، د.ط.



- ٩ . الجرجاني، عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد (١٩٩١)، أسرار البلاغة، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، د.ط.
- ١٠ .. الحسوني، سلمان سالم سلامة (٢٠١٦)، ألوان البديع في سورة الكهف . دراسة بلاغية تحليلية، رسالة ماجستير بإشراف: د.سعود محمود عبدالجبار، كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط.
- ١١ .. حفني، عبد الحلیم (١٩٩٢)، التصوير الساخر في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط.
- ١٢ .. الحلبي، أحمد بن يوسف السمين (١٤٠٦هـ)، الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: د.أحمد محمد الخياط، دار القلم، دمشق، ط١.
- ١٣ .. الجوهری، أبو نصر إسماعيل بن حماد (١٩٨٧)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، د.ط.
- ١٤ .. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (٢٠٠١)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي هاللي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط١.
- ١٥ .. الزحيلي، د.وهبة بن مصطفى (١٤١٨هـ)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢.
- ١٦ .. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (١٤٠٧هـ)، تفسير الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣.
- ١٧ .. السعدي، عبدالرحمن بن ناصر (٢٠٠٢)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويح، دار السلام، المملكة العربية السعودية، ط٢.
- ١٨ .. الشعراوي، محمد متولي (١٩٩٧)، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، د.ط.
- ١٩ .. طنطاوي، محمد سيد (١٩٩٨)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، ط١.
- ٢٠ . طهماز، عبد الحميد محمود (١٩٧٨)، العواصم من الفتن في ضوء سورة الكهف، دمشق، دار القلم، ط١.
- ٢١ .. عزيز، د. صالح ملا (٢٠٢١)، التشويق في سورة الكهف . أنماظه ودلالاته، مجلة زانكو للعلوم الإنسانية، المجلد ٢٥، العدد ٤.
- ٢٢ .. العلوي، يحيى بن حمزة بن علي (٢٠٠٨)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تحقيق: د.عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط.
- ٢٣ . العمر، ناصر بن سليمان (١٤٣٥هـ)، تدبر سورة الكهف، الرياض، مؤسسة ديوان المسلم، ط٢٠٢٣.
- ٢٤ .. العوا، عادل (١٩٨٩)، أخلاق التهكم، دمشق، دار حصاد، د.ط.
- ٢٥ .. القاسمي، محمد جمال الدين (١٤١٨ هـ)، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.
- ٢٦ .. قطب، سيد (٢٠١٩)، في ظلال القرآن، دار الأصول العلمية، تركيا . اسطنبول، ط١.
- ٢٧ .. المدني، علي صدر الدين بن معصوم (١٩٦٨)، أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، العراق . النجف الأشرف، ط١.



- ٢٨.. ميويك، دي سي (١٩٨٧)، موسوعة المصطلح النقدي . المفارقة وصفاتها، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، دار المأمون، بغداد، ط٢.
- ٢٩.. ناجي، فانتن حسين (٢٠١٤)، مفهوم التهكم في نصوص محمد الماغوط المسرحية، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد ٤، العدد ١.
- ٣٠.. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (٢٠١٥)، سنن النسائي، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت . لبنان، ط١.
- ٣١.. ياسوف، أحمد (٢٠٠٦)، دراسات فنية في القرآن الكريم، دمشق، دار المكتبي، ط١.

#### Sources and References:

1. Ibn Abi al-Asba' al-Misri (1995), Tahrir al-Tahbir fi Sina'at al-Shi'r wa al-Nathr wa Bayan I'jaz al-Qur'an, edited by Dr. Hafni Muhammad Sharaf, Cairo, n.d.
2. Ibn Hujjah al-Hamawi, Abu Bakr ibn Ali ibn Abdullah (2005), Khizanat al-Adab wa Ghayat al-Irab, edited by Dr. Kawkab Diyab, Dar Sader, Beirut, 2nd ed.
3. Ibn Ashur, Muhammad al-Tahir (n.d.), al-Tahrir wa al-Tanwir, Beirut, Lebanon, Mu'assasat al-Tarikh al-Arabi, 1st ed.
4. Ibn Faris ,Ahmad ibn Faris ibn Zakariya al-Qazwini (1987), A Summary of the Language, edited by: Zuhair Abdul-Muhsin Sultan, Al-Risalah Foundation, Beirut, 2nd ed.
5. Ibn Manzur, Muhammad ibn Mukarram (n.d.), Lisan al-Arab, edited by Abdullah Ali al-Kabir, Muhammad Ahmad Hasab Allah, Hashim Muhammad al-Shadhili, Dar al-Ma'arif, Egypt, Beirut, 3rd ed.
6. Abu al-Sa'ud, Muhammad ibn Muhammad al-Imadi (n.d.), Irshad al-'Aql al-Salim ila Mazaya al-Kitab al-Karim, edited by Abdul Qadir Ahmad Atta, Maktabat al-Riyadh al-Haditha, Riyadh, Matba'at al-Sa'adah, n.d.
7. - Al-Alusi, Shihab al-Din Mahmud ibn Abdullah (2010), Ruh al-Ma'ani fi Tafsir al-Qur'an al-'Azim wa al-Sab' al-Mathani, edited by Radwan Mamo, Beirut, Al-Risalah Foundation, 1st edition.
8. -Al-Jarim and Amin, Ali al-Jarim and Mustafa Amin (2022), Al-Balaghah al-Wadihah fi al-Bayan wa al-Ma'ani wa al-Badi', edited by Qasim Muhammad al-Nuri, Beirut, Dar al-Fajr Library, n.d.
9. -Al-Jurjani, Abd al-Qahir ibn Abd al-Rahman ibn Muhammad (1991), Asrar al-Balaghah, commentary by Mahmud Muhammad Shakir, Dar al-Madani, Jeddah, n.d.



10. Al-Hassouni, Salman Salem Salama (2016), The Colors of Rhetoric in Surat Al-Kahf: An Analytical Rhetorical Study, Master's Thesis supervised by: Dr. Saud Mahmoud Abdul-Jabbar, Faculty of Arts and Sciences, Middle East University.
11. Hafni, Abdul-Halim (1992), Satirical Imagery in the Holy Qur'an, Egyptian General Book Organization, n.d.
12. Al-Halabi, Ahmad ibn Yusuf al-Samin (1406 AH), The Preserved Pearls in the Sciences of the Hidden Book, edited by: Dr. Ahmad Muhammad al-Khayyat, Dar al-Qalam, Damascus, 1st ed.
13. Al-Jawhari, Abu Nasr Ismail ibn Hammad (1987), Al-Sihah: The Crown of Language and the Correct Arabic, edited by: Ahmad Abdul-Ghafour Attar, Dar al-Ilm lil-Malayin, Beirut, n.d.
14. Al-Zubaidi, Muhammad Murtada al-Husseini (2001), Taj al-Arus min Jawahir al-Qamus, edited by Ali Hilali, National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait, 1st edition.
15. Al-Zuhaili, Dr. Wahba bin Mustafa (1418 AH), Al-Tafsir al-Munir fi al-Aqidah wa al-Shari'ah wa al-Manhaj, Dar al-Fikr al-Mu'asir, Damascus, 2nd edition.
16. Al-Zamakhshari, Abu al-Qasim Mahmud bin Umar (1407 AH), Tafsir al-Kashshaf, Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, 3rd edition.
17. Al-Sa'di, Abd al-Rahman bin Nasir (2002), Taysir al-Karim al-Rahman fi Tafsir Kalam al-Mannan, edited by Abd al-Rahman bin Mu'alla al-Luwayhiq, Dar al-Salam, Kingdom of Saudi Arabia, 2nd edition.
18. Al-Sha'rawi, Muhammad Mutawalli (1997), Tafsir al-Sha'rawi, Akhbar al-Yawm Press, n.d.
19. Tantawi, Muhammad Sayyid (1998), Al-Tafsir al-Wasit lil-Qur'an al-Karim (The Intermediate Interpretation of the Noble Qur'an), Dar Nahdat Misr, Al-Fajjalah, Cairo, 1st ed.
20. Tahmaz, Abdul Hamid Mahmoud (1978), Safeguards from Tribulations in Light of Surat Al-Kahf, Damascus, Dar Al-Qalam, 1st ed.
21. Aziz, Dr. Saleh Mulla (2021), Al-Tashwiq fi Surat al-Kahf - Anmatuhu wa Dalalatuhu (Suspense in Surat al-Kahf - Its Patterns and Meanings), Zanko Journal of Humanities, Vol. 25, No. 4.
22. Al-Alawi, Yahya ibn Hamza ibn Ali (2008), Al-Tiraz li-Asrar al-Balaghah wa-Ulum Haqa'iq al-I'jaz (The Style for the Secrets of Rhetoric and the Sciences of the Realities of Inimitability), edited by Dr. Abdul Hamid Hindawi, Al-Maktabah al-Asriyyah, Beirut, n.d.
23. Al-Omar, Nasser bin Suleiman (1435 AH), Reflecting on Surat Al-Kahf, Riyadh, Diwan Al-Muslim Foundation, 2nd ed



24. Al-Awa, Adel (1989), Akhlaq al-Tahakkum (The Ethics of Irony), Damascus, Dar Hasad, n.d.
25. -Al-Qasimi, Muhammad Jamal al-Din (1418 AH), \*Mahasin al-Ta'wil\*, edited by Muhammad Basil Uyun al-Sud, Dar al-Kutub al-'Ilmiyya, Beirut, 1st edition.
26. Qutb, Sayyid (2019), \*Fi Zilal al-Qur'an\*, Dar al-Usul al-'Ilmiyya, Istanbul, Turkey, 1st edition.
27. -Al-Madani, Ali Sadr al-Din ibn Ma'sum (1968), \*Anwar al-Rabi' fi Anwa' al-Badi'\*, edited by Shakir Hadi Shukr, 1st edition, Al-Nu'man Press, Najaf, Iraq.
28. -Mewik, D.C. (1987), \*Mawsoo'at al-Mustalah al-Naqdi - al-Mufaraqa wa Sifatuha\*, translated by Abd al-Wahid Lu'lu'a, Dar al-Ma'mun, Baghdad, 2nd edition.
29. - Naji, Faten Hussein (2014), The Concept of Irony in the Plays of Muhammad al-Maghout, Babel Center for Humanistic Studies Journal, Volume 4, Issue 1.
30. -Al-Nasa'i, Abu Abd al-Rahman Ahmad ibn Shu'ayb (2015), Sunan al-Nasa'i, Al-Risalah Publishers Foundation, Beirut, Lebanon, **1st Edition.**
31. -Yasuf, Ahmed (2006), Technical Studies in the Holy Qur'an, Damascus, Dar Al-Maktabi, 1st ed.

# JOBS



مجلة العلوم الأساسية  
Journal of Basic Science



Print -ISSN 2306-5249

Online-ISSN 2791-3279

العدد الأربعون

٢٠٢٦ م / ١٤٤٧ هـ



مجلة العلوم الأساسية  
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الأساسية